بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمَّدًا عبده ورسوله صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد.. حديث اليَوم سيكون في كلمة مختصرة ولا تطول حول حديثٍ رواهُ ابنُ ماجه والإمامُ أحمد -رحمهما الله- وغيرهما من أهل العلم عن أمِّ المؤمنين أمِّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زوج النّبيّ ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلَّىٰ كان يقولُ بعد صلاة الصُّبحِ بعد أن يُسلّم : «**اللّٰهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيّبًا، وعملًا متقبلًا**».[1]

فكان -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-من هديه كلَّ يوم بعد أن يُصلِّي الصُّبح يدعو بهٰذه الدَّعوة العظيمة الجامعة «**اللّٰهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيّبًا، وعملًا متقبلًا**» وفي روايةٍ «**وعملًا صَالحًا**» والعمل المتقبل هو العمل الصّالح.

وإذا تأملتَ -أيُّها الأخ الكريم- في هٰذه الدّعوة العظيمة التي كان يواظِب عليها رسول الله ﷺ كلَّ يومٍ بعد أن يُصلِّي الصُّبح تجد أنّها جاءت في وقتها المُناسب؛ لأنَّ الصُّبح هو باكورةُ اليَوم ومُفتتحُهُ، وكم هو عظيمٌ أن يفتتح المُسلمُ يومَه بالتّوجهِ إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يَمُنَّ عليه بهٰذه الأمور الثلاثة : العلم النَّافع، والرِّزق الطيب، والعمل الصَّالح أو العمل المتقبل.

وأيضًا إذا تأمّلت في هٰذه الأمور الثلاث تجد أنّها هي أهداف المسلم تحديدًا في يومه؛ أهداف المُسلم في يومه ثلاثة :

العلم النَّافع، والرِّزق الطيّب، والعمل الصَّالح

و لو تفكّرت في هدفٍ آخر للمسلم في يومه لا تجد هدفًا آخر خارجًا عن هٰذه الأهداف الثلاثة فهي جامعة لأهداف المُسلم في يومه؛ فجاء هٰذا الدُعاء مُفتتحًا اليوم بتذكُّر المُسلم أهدافه في يومه، وتوجهه إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في تحقيق هٰذه الأهداف؛ فهو نافع من جهتين:

(١) أخرجه ابن ماجه (ح ٩٢٥)، وأحمد (ح ٢٦٤٨١) وفيه «**وَرِزْقًا وَاسِعًا**»، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

من جهة تحديد الأهداف في أول اليوم، ويقولون: إنّ من أسباب النَّجاح أن يُحدِّد الإنسان هدف في عمله إذا كان مُتجهًا إلىٰ عملٍ ما أو أمرٍ ما؛ فمن أسباب النجاح أن يُحدد أهدافه، وأن يكون بين عينيه أهداف واضحة مُحددة يقصدها، أمّا من كان يسير بلا هدف واضح ولا رؤيةٍ بيّنة تختلط عليه الأمور وتتزاحم عليه وربما لم يتحقق له شيءٌ منها، فهنا تحديدٌ للأهداف هٰذا أمر.

والأمر الثاني توجّهٌ إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في الإعانةِ علىٰ تحقيقها بالسُّؤال والطَّلب في بدْء اليوم .

ثم يتكرّر هٰذا الأمر مع المُسلم كلّ يوم يتوجّه إلىٰ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في أوَّل اليوم بسؤال الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- العوْن علىٰ تحقيق هٰذه الأهداف العظيمة والمطالِب الجليلة.

وقد بدأها ﷺ بالعلم النَّافع، وهٰذا فيه دلالةٌ واضحة أنَّ العلمَ مُقدَّم وبه يُبدأ، ولهٰذا بدأ به-عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، فهٰذه الدَّعوة فيها دلالةٌ علىٰ أنّ العلمَ مُقدَّمٌ علىٰ العمل؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[محمد:١٩] فبدأ بالعِلم قبل العمل، فبالعلم يُبدأ؛ ولهٰذا بدأ به -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وقدَّمهُ علىٰ العمل وعلىٰ الرِّزق، وفي تقدِيمه عليهما دلالةٌ علىٰ أنَّ صلاح العمل وطِيب الرزق مبني علىٰ العلم .

فالعلم هو الذي به يميز بين طَيِّب الرزق ورديئه، وصالح العمل وسيِّئه، وإذا لم يكن عند الإنسانِ علمٌ نافع يُميّز به بين الأمور اختلط عليه الرِّزق الطيِّب بالخبيث والعمل الصالح بغيره، ولا يستطيع أن يُميّز في هٰذه الأمور إلاّ بالعلم؛ ولهٰذا كان العلمُ حقيقًا بالتَّقديم وبالعناية وأن يكون في أولىٰ اهتمامات المُسلم.

أمّا إذا كان يطلب الرِّزق بلا علم ويسعىٰ في العمل بلا علم فشأنُهُ كما قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ: (من عَبد الله بغير علمٍ كان ما يُفسد أكثر ممّا يُصلح).[2]

وهٰذا أيضًا يُفيدُنا أن هٰذه الدَّعوة فيها لفتُ انتباهٍ للمسلم كلّ يوم إلىٰ الاهتمام بالعلم، وأن يكون العلم في أولىٰ اهتماماته في يومه، وأن يكون كلَّ يومٍ من أيّامهِ له حظٌ فيه من العلم النَّافع بحيث لا يمضي يوم إلّا ويحصّل فيه علمًا نافعًا، فالحديث يدلّ علىٰ ذلك لأنك كل يوم تقول : «**اللّٰهم إني أسألك علمًا نافعًا**».

(٢) مجموعة الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/ ٧٨، ط: دار الجيل ١٤١٨).

والعلماء يقولون: هٰذا دُعاء ولابد مع الدُّعاء من بذل السَّبب؛ فإذا قلت: «**اللّٰهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا**» لا بدَّ أن تَبْذُلَ سببًا: تذهب إلىٰ حلقة علم، إلىٰ مجلس علم، تقرأ كتابًا، تتذاكر مسألةً.. إلىٰ غير ذلك من الوسائل والطَّرائق التي تُتَّبع في تحصيل العلمِ ونيله؛ فالدُّعاء يتبعه بذل الأسباب.

لكن لو أنّ شخصًا استهلّ يومه وصباحهُ الباكر بعد صلاة الفجر قال: «**اللّٰهم إني أسألك علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا، ورزقًا طيّبًا**» ثم سحب الوسادة ووضع رأسَهُ عليها ونام حتىٰ الظُّهر، يصل إليه العلم علىٰ وسادته؟! لا يصل؛ لا بدّ من بذل السَّبب.

يقول: «**اللّٰهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا**» ثم يتَّجه فيقول: «**اللّٰهم إني أسألك رزقًا طيّبًا**» ويشتغل ويبحث عن الرِّزق؛ فلابُدّ من بذْل الأسْبَاب، ولهٰذا قيل[3]:

تمنّيتَ أن تُمسي فقيهًا مُناظرًا *** بغير عناءٍ فالجنونُ فنونُ

وليس اكتسابُ المال دون مشقّةٍ *** تلقيّتها فالعلمُ كيف يكونُ

يعني لابُدّ من بذل الأسباب لا يكفي مُجرّد التوكّل أو مجرّد الدّعاء؛ بل لا بدّ مع الدّعاءِ من بذل الأسباب.

فإذًا هٰذه الدَّعوةُ تُفيدنا فائدة عظيمة أنّ طلب العلم مطلوبٌ كلّ يوم؛ لأنّنا كل يومٍ نقتدي بنبيّنا -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- بالدُّعاء بهٰذه الدَّعوة العظيمة، فهٰذا فيه من الفائدة أنّ المُسلم ينبغي عليه أن لا يفوت عليه يوم من الأيّام إلاّ ويزداد فيه علمًا، ويتعلَّم فيه مسألةً، حكمًا، يحضُر فيه درسًا، يقرأُ فيه كتابًا.

أمّا يوم بأكمله يمضي بدون فائدة للإنسان في دينه هٰذه مُصيبة! لو كان الإنسان يتذكّر في حقيقة الأمر مُصيبة يمضي عليه يوم، كان بعض السلف مع شدة حزمهم وقوّة عزمهم وعِظم دأبهم في العلم والتحصيل كان بعضهم إذا غربت الشمس ربما بكىٰ، لا لأنّه لم يُحصّل فيها؛ ولكن التحصيل الذي كان أقلّ ممّا يطلب لنفسه:

وإذا كانت النُّفوسُ كِبارا *** تعبت في مُرادِهَا الأجْسَامُ[4]

كيف إذا كانت النّفوس رديئة وضعيفة؟!

فالشَّاهد أنّ الحديث يُفيد فائدة عظيمة وهي أنّهُ ينبغي علىٰ المُسلم أن

(٣) نسبه ابن كثير للفقيه الحنبلي أبي بكر الدينوري المتوفى سنة (٥٣٣هـ)، البداية والنهاية (ج١٢/ ص١٨٢، ط: دار الصفا ١٤٢٣).

(٤) ديوان المتنبي، ص (٢٦١)، ط: دار بيروت ١٤٠٣.

يكون لهُ في كلِّ يوم عناية بالعلم وتحصيل العلم، وطلب العلم، وأن لا يحرم نفسَهُ من العلم ومجالسه وكتبه وما استجدّ في زماننا من وسائل كالأشرطة وغيرها؛ فيكون له حظٌّ من العلم وتحصيله.

قال: «**اللّٰهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا**» وهٰذا فيه تنبيه علىٰ أنّ العلم نوعان: علمٌ نافع، وعلمٌ ضارّ.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[البقرة:١٠٢] هٰذا علم ضارّ، فهناك علوم ضارّة وما أكثرها في زماننا.

وعلمٌ نافع ينفعُ الإنسان ويُفيده؛ فحدَّد الطّلب هنا فقال: «**اللّٰهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا**»؛ بل كان يأتي في بعض دعواته -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- التعوّذ بالله من علم لا ينفع.

قال: «**اللّٰهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا**» والمعني بالعلم النافع هنا العلم الذي هو في نفسه نافع لمن اطّلع عليه وأفاده، وأيضًا انتفاعُ المتعلم لهٰذا العِلْمِ بالعلم؛ إذْ قد يكون علمُ الإنسانِ علمٌ نافع ولكن صاحبهُ لا ينتفع به؛ ولهٰذا كان من دعائه -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**اللّٰهم انفعني بما علَّمتني**»[٥] فقد يكون العلم في نفسه نافعًا؛ ولكن صاحبه غير مُنتفع به؛ فيسأل الله ﷻ أن يَمُّن عليه بالعلم النّافع، النّافع في نفسه والنافع لصاحبه بحيثُ أنَّ صاحبه ينتفع به ويزداد به صلاحًا وهدًى وتقوىٰ وتقربًا لله ﷻ ونيلًا لمراضيه سُبْحَانَهُ.

ثم بعد ذلك قال: «**ورزقًا طيِّبًا**» أيّ وأسألك يا الله رزقًا طيبًا، وفيه أيضًا الحثّ علىٰ طلب الرزق في يوم المُسلم وفي كلّ أيّامه، مع التّوجه إلىٰ الله ﷻ في تيسيره، مع التّوجه إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في تيسيره.

وإذا قال المُسلم في دعائه: «**ورزقًا طيِّبًا**» أي: وأسألك رزقًا طيّبًا؛ فإنَّ هٰذا يغرس فيه ويُمكِّن في قلبه أنّ الرِّزق علىٰ نوعين: طيّب وخبيث. والمطعم علىٰ نوعين، والمشرب علىٰ نوعين والملّبس علىٰ نوعين : طيّب وخبيث.

ولابُّد أن يَميزَ المُسلم بين الخبيثِ والطيِّب حتىٰ لا يكون مطعمهُ ولا مشربُهُ ولا ملّبسهُ إلاّ طيّبا، وقد ذكر -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- في الحديث: «**الرَّجل يُطيلُ السَّفر أشعث أغبر يمُّدُ يديه إلىٰ السَّماء: يا ربّ يا ربّ، ومطعمهُ حرام وملّبسه حرام ومشربه حرام وغُذِيَ بالحرام؛ فأنّىٰ يُستجابُ**

(٥) أخرجه الترمذي (ح٣٥٩٩)، وابن ماجه (ح٢٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

له».[٦]

ولهٰذا قال بعض السلف : (أطبْ مطعَمَكَ تُستجب دعوتُك)؛ فيسأل الله ﷻ الرزق الطيّب وهٰذا يتضمَّن سؤال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يُبعد العبد عن أبواب الكسْب المُحرَّمةَ من : الرِّبا إلىٰ الغش إلىٰ المُعاملات المُحرَّمة والبيوع المُحرمة إلىٰ غيرِ ذلك؛ فالخلاصُ من ذلك كُلّه داخل في قوله: «**ورزقًا طيّبًا**» .

ثُم ختم بقوله: «**وعملًا صالحًا**» وفي رواية «**وعملًا مُتقبَّلًا**» أيّ من الأعمال الصَّالحة التي شرَعَها الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وللعمل الصالح وصفان:

* أن يكونَ خالصًا لله-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. * وأن يكونَ موافقًا للسُّنة.

فإذا كان العملُ كذلك تقبّله اللهُ-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من عامله، ولهٰذا فإنّ العمل الصَّالح الذي هو خالصٌ لله موافقٌ لسُّنة رسول اللهﷺهو المتقبَّل؛ فالله- جلّ وعلا- لا يتقبَّل من العمل إلاّ ما كان صالحًا أي خالصًا صوابًا كما مرَّ معنا في هٰذا المعنىٰ قول الفُضيل بن عياضرَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[هود:٧] قال : (أخلَصُهُ وأصوبُهُ ، قيل : يا أبا عليّ وما أخلصُهُ وأصوبُهُ ؟ قال: إنّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتىٰ يكونَ خالصًا صوابًا، والخالص ما كان لله والصوابُ ما كان علىٰ السُّنة).[٧]

فهٰذه دعوة -أيُّها الإخوة- عظيمة من كان مُحافظًا عليها فليزدد مُحافظةً، ومن كان علىٰ غير علمٍ بها أو علىٰ غير مُحافظةٍ عليها فليُدرك أهميتها وعِظمَ شأنها ومسيسَ حاجته إليها كلَّ يوم بعد صلاة الصُّبح يدعو بهٰذه الدَّعوة العظيمة «**اللّٰهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيّبًا، وعملًا مُتقبَّلًا**». ونكتفي بهٰذا القدر، والله أعلم.

(٦) أخرجه مسلم (ح ١٠١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ج٦/ ص٢١٧-تحقيق رشاد سالم)

شَرْح

حديث أمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

«اللّٰهم إنّي أسْألُك علمًا نافعًا، ورزقًا طيِّبًا، وعمَلًا متقبَّلًا»

[رواه أحمد وابن ماجه وغيرهما]

كلمة

للشيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله

النسخة الإلكترونية الأولىٰ

راجع الشيخ التفريغ

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com